المخصصة للعمل في ريفنا الفلسطيني اذا صبحت الآلة هي البديل وكانت العادة ان يقوم الشباب في اواسط الشتاء بشكل جماعي الى اخذ ابقارهم الى الغور الذي ينبت عشبه مبكرا (٨١) وتمكث هذه الهجرة الموسمية ما يقارب الشهرين او الثلاثة وتكون في الغالب بعد ان يحرث الفلاحون ارضهم ويزرعون الحب وهدف هذه تسمين الابقار خاصة وقت ولادتها التي تصادف في معظمها فصل الشتاء كما أنها متعة للشباب في مناطق دافئة (مشاتي) وهذه الرحلة هي درس من دروس العمل الجماعي المنظم والمبرمج اذ أن كل مجموعة من الشباب تقيم في منطقة (٨٢) ويتناوب افرادها الرعي اوتحضير الطعام (٨٣) او السهر ليلا لحماية الابقار من اللصوص والوحوش ، او التحطيب من اجل النار اللازمة لهم اثناء سهراتهم او لاعداد طعامهم كما كانوا يتناوبون العودة الى قراهم في فترات لحلب المؤن والاطمئنان على احوال هل قريتهم ويحملون اليهم هدايا الغور التي هي عبارة عن بعض الخضار كالعكوب والمرار والخبيزة والحميض والدرهيمية .

وقد شاهدت اسماء الكثير من الشباب الذين هم اليوم في سن الشيخوخة او في العدم ومن مناطق مختلفة من منطقة رام الله وقرى منطقة شرقي نابلس منقوشة على الصخور العالية في مرتفعات الغور كذكرى لهذه الهجرات الموسمية .

اما النوع الثاني فهو ما يزال باقيا الى ايامنا هذه ، وهو هجرة موسمية لاصحاب قطعان الغنم والماعز وتختلف هذه عن الاولى في انها هجرة عائلية اذ تهاجر جميع العائلة مع القطيع وذلك بسبب الحاجة للنساء لتقوم بحلب الغنم وتصنيع الالبان . وفي كلتا الحالتين يعود المهاجرين الى قراهم اوائل الربيع حيث يكون عشب الغور قد جف بينما عشب الجبل قد نما واخضر كما تحين الفرصة لحراثة الشجر والزراعة الصيفية ومن الامثلة عن التعزيب في الغور « لو اني الغور وهو الثور ما قطع مني ولا عشبه » ويقال على لسان الفتاة التي يتقدم احد الشبان لخطبتها وترفضه « مثل الثور الي طلع من الغور » ويقال للسمين والعبيط .

(٨١) يستدلون على ان العشب كاف لرعي البقار واشباعها من العشب الذي ينبت فوق بيوت النمل .

(٨٢) راجع مقالتنا عن الهجرة في المرجع السابق ص ٤٧ .

(٨٣) يكون طعام هؤلاء هو خبز الشراك الذي يخبزه الرجال انفسهم وحليب الابقار كما يطبخون بعض الخضار كالخبيزة واللحوم وهو من صيدهم وما اكثره .

طلب الغيث والمطر : —

ان الصلة بين الانسان وربه هي صلة خضوع واعتراف بالسيادة والكرم والعطاء ولقد عرفت شعوب بلاد الشام وفلسطين قديما الهة للمطر والخصب ، وكان سكانها الاوائل يتقربون اليها بالقرابين والصلوات من اجل استرضائها لتمنحهم المطر والخصب والخير ، فالكنعانيون قد عبدوا « عليان بعل » الذي يراقب الامطار والمحاصيل وكانوا يقدمون الصلوات لإسترضائه كما عبد الاراميون « حدد » اله الصاعقة والبرق والرعد والمطر والخصب وعند الفنيقيين كانت « بعلت جبيل » الهة الخصب والتوالد وامتدادا لهذه الجذور التاريخية نجد شعبنا يمارس طلب الغيث والمطر من الله . ففي كثير من التعبيرات والمفاهيم نجد ما يثبت هذه الاصول الحضارية البعيدة فلا تزال الامهات حتى اليوم تخيف ابنائها ليلا او عند بكائه بقولها له « اسكت اجاك شيخ المطر» الا يمكن ان نقول ان شيخ المطر هو حدد اله البرق والصواعق المخيف ، كما يرددون اسم أم الغيث «اي صاحبة الغيث وفي هذا جذور تاريخية عميقة تعود بنا الى بعلت جبيل والى عليان بعل والهات الخصب والتوالد ولا يزال الرجال يؤدون صلاة الاستسقاء في المساجد ومقامات الانبياء والاولياء ان الاديان السماوية قد هذبت هذه المعتقدات قام الغيث هو الله سبحانه وتعالى والتانيث هنا ما هو الا دلالة على الخصب والتوالد فشعبنا يؤمن ان الله هو مصدر كل خير وعطاء وفي الهدهدة :

لولاك يابني لولاك ياهادي
مامطرت الدنيا ولاجرى وادي

وعند انقطاع المطر لمدة طويلة كانت النساء والاطفال يقومون بطلب الغيث بطريقة تستدر العطف والشفقة حتى من اقسى القلوب حيث تسير النساء في جماعات وراء هن الاطفال وتحمل احداهن طاحونة يد على راسها تطحن بها حب الفول والكرسنة (طعام الحيوانات) ويرددون .

يارب ليش هالطوله اكلنا طحينة الفولة
يارب ليش هاالكنة اكلنا طحين كرسنة

وتمسك احداهن بديك دجاج تضغط على رقبته فيصيح (يقعق) دلالة العطش والجوع رغم ان اقل كمية من الماء او الطعام تكفيه

ويش بده قعاق الليل بده مطر بدسيل (٨٥)
اطلب من ربك اديك اطلب من ربك يسقيك
ديكنا قعق في الليل بده مطر بدسيل
ديكنا بزعق في الليل بده زرع اباري الخيل
يا ديك يا ابو عرف ازرق ياريتك في الميه تغرق

٨٤ — ليش : لماذا . هالكنة : الصمت والسكوت ٨٥ — وش بدك : ماذا تريد